أمارابك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 8، العدد 24 (2016). ص ص 57-66

رعاية المسنين من وجهة النظر الشرعية: نماذج لرعاية المسنين في الحضارة الاسلامية في السنة النبوية

خالد مصطفى السراحنة*

الملخص: حفاظا على كرامة هذا الإنسان، وضع الإسلام أحكاما تنظم هذه الحياة، وتصون حريته وكرامته، وهذه الأحكام لا تقتصر على مرحلة من مراحل حياة الإنسان، وإنما تعم جميع مراحل حياته، ورعاية المسنين من القيم الاجتماعية الحضارية , إذ تجعله يشعر بأنه ذو شأن كبير ومنزلة رفيعة في الأسرة والمجتمع، وجعلها النبي صلى الله عليه وسلم سبيلاً لرحمة الله للعباد فقال (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)[1].وجعلت السنة النبوية رضا الله على العبد مرهوناً برضا الوالدين، قال تعالى:(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[2] وأبناء الأمة يحمل قويهم ضعيفهم، ويساعد غنيهم فقيرهم. ورعاية المسنين تتمثل في توقير الكبير وإجلاله، وقال صلى الله عليه وسلم أيضا (من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم)[3] وأيضاً تقديم الكبير في السلام والكلام والشرب والإمامة وتصدر المجالس. فرعاية المسنين غير قاصرة على من كان مسلما، بل لكل مسن لأن إحسان الأبناء للآباء واجب في حق الأبوين غير المسلمين لكونهما أصل وجود الأبناء فيراعي احتياجاتهم سواء كانت مادية أو اجتماعية أو نفسية أو صحية أو غير ذلك. والله عز وجل قد أتم على عباده نعمته برسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث كانت بعثته رحمه للعالمين قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [4] فمظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ليس لها حصر لأن رحمته عالمية كما أخبر الله سبحانه وتعالى وما من أحدٍ إلا وقد نال من رحمته.

الكلمات المفتاحية: رعاية المسنين، الحضارة الاسلامية، السنة النبوية.

Looking after the Elderly form the view point of Islamic legitimacy: Models of Elderly care in Islamic civilization in Hadith

Khaled Mustafa Al-Sarahna

Abstract: Thanks to God and peace be upon our prophet and those allied believers . Thanks for his guidance that direct us to the right way and shows the differences between right and wrong thanks to God for making this humble work. For it's our duty to acknowledge our God's gifts so I look for in this pages about the God's care of human being from child hood to elderly there for, I divided this research into two sections. The first chapter is about the careness of Islam about childhood with illustration from the biography of our prophet Muhammad peace be upon him the second chapter is about the elderly period with best example of parent's respect with incidents and seems from the life of prophet Muhammad peace be upon him.

Keywords: Elderly care, Islamic civilization, Hadith.

* فلسطين، dr.khaledsr2012@gmail.com
[1] البخاري باب قول الله تعالى (قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن) (115/9)ح(7376)
[2] سورة الإسراء أية23
[3] البخاري الأدب المفرد باب إجلال الكبير (130/1)
[4] سوره الأنبياء أية 107

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

قال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ "([5]).

وقال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا "([6])

حفاظا على كرامة هذا الإنسان، وتوفيرا لأسباب العزة والكرامة والشرف له، فقد وضع الإسلام أحكاما تنظم هذه الحياة، تصون له حريته وكرامته وتحقق له العدل والخير والسعادة في الدنيا والآخرة، وهذه الأحكام لا تقتصر على مرحلة من مراحل حياة الإنسان، وإنما تعم جميع مراحل حياته، ومن هذه المراحل: مرحلة كبر السن(الشيخوخة)، ورعاية الإسلام للمسنين من القيم الاجتماعية الحضارية الإسلامية وعلينا تحمل مسؤولياتنا تجاه كبار السن مع محاولة إيجاد الجو الاجتماعي الحضاري الذي يشعرهم بالحب ويغمرهم بالحنان والناظر إلى القيم الاجتماعية الحضارية الإسلامية التي حظي بها الشيخ المسن في تشريع السنة النبوية يجدها تمثل الوسيلة الوحيدة التي تخفف عنه أمراض الشيخوخة وتنسيه همومها؛ إذ تجعله يشعر بأنه ذو شأن كبير ومنزلة رفيعة في الأسرة والمجتمع، فهو المقدم في الكثير من الأمور، وهو المحترم، وهو الذي تسعى الأسرة والمجتمع لإكرامه وتوقيره، وهذا ما يربو بالحالة النفسية لديه، فيبعد عنها الاكتئاب والوحدة والقلق، والعيش مع هموم وأمراض الشيخوخة والتي يجب أن تكون ثقافة المسلم وفكره وسلوكه , وفي مقدمتها التراحم بين المؤمنين، التي جعلت مجالاً للتواصي بين المؤمنين، وجعلها النبي صلى الله عليه وسلم سبيلاً لرحمة الله للعباد فقال (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)([7])،وقال أيضا(الراحمون يرحمهم الرحمن،ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)([8]).

وإجلال المسن وإكرامه من القيم الاجتماعية التي بينتها السنة النبوية؛ إذ جعلت ذلك من إجلال الله سبحانه فقال النبي صلى الله عليه وسلم" من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم "،وكيف بهذا الشيخ ذي الشيبة تكون هذه منزلته عند الله وهذا قدره في الإسلام يهان ولا يصان في المجتمع المسلم ولا تراعى له حاجة وهو في سن الضعف والهوان.

وأضاف أن السنة النبوية جعلت للوالدين الكبيرين مكانة عالية عند أولادهما، وأمرت بإظهار الاعتبار اللائق لهما، والإحسان إليهما والنبي صلى الله عليه وسلم يقدم هذه القيمة الاجتماعية على ذروة سنام الإسلام التي هي الجهاد في سبيل الله وجعل ذلك جهاداً لذاته، فقد جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يستأذنه في الجهاد فقال: (أحي والداك ؟، قال: نعم قال: ففيهما فجاهد)([9]).

وإحقاقاً لهذه القيمة الاجتماعية جعلت السنة النبوية رضا الله على العبد مرهوناً برضا الوالدين، وعقوق الوالدين كبيرة من الكبائر توجب سخط الله عز وجل فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: "رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد " قال تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ

---

[5] سورة آل عمران، آية: 102

[6] سورة النساء، آية: 1

[7] البخاري باب قول الله تعالى (قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن) (115/9)ح(7376)

[8] الترمذي باب ما جاء في رحمة المسلمين (323/4)ح(1924) ,وقال حديث حسن صحيح.

[9] البخاري باب الجهاد بإذن الأبوين (59/4)

وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا)[10] وأبناء الأمة يشكلون وحدة اجتماعية متكاملة متكافلة، يحمل قويهم ضعيفهم، ويساعد غنيهم فقيرهم، ويعين موسرهم معسرهم، فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع) [11].

ومن القيم الاجتماعية التي نوهت بها السنة النبوية، وخاطبت بها أبناء المجتمع المسلم رعاية للمسنين تتمثل في توقير الكبير وإجلاله، والعرفان بحقه وشرفه؛ إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا)[12], وقال أيضا (من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم)[13].

وأيضاً تقديم الكبير في السلام والكلام والشرب والإمامة وتصدر المجالس. فرعاية المسنين في السنة النبوية لم تكن قاصرة على من كان مسلما فحسب، بل تعدت لكل مسن يعيش في ظل المجتمع المسلم. ومن أبرز القيم الحضارية التي جاءت في السنة النبوية بخصوص المسن غير المسلم لأن إحسان الأبناء للآباء واجب أيضاً في حق الأبوين غير المسلمين لكونهما أصل وجود الأبناء وأصحاب منة عليهم فقد جاءت أسماء بنت أبي بكر الصديق إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستفتية إياه في صلة أمها قائلة (إن أمي قدمت وهي راغبة أي: ساخطة وكارهة للإسلام، أفأصلها ؟ قال نعم صلي أمك)[14] فالتكافل والتعاون من القيم الاجتماعية التي شرعت في المجتمع المسلم من أجل أن يتعاون أفراده في دعم الآخرين ومعاونتهم مما يدفع بالمسلم الى الشعور بالمسؤولية الشرعية البالغة نحو كبار السن فيراعي احتياجاتهم ومتطلباتهم، سواء كانت مادية أو اجتماعية أو نفسية أو صحية أو غير ذلك مما يحتاجون إليه وإن الشيخ المسن أحد أفراد المجتمع المسلم، وهو بحاجة لرحمتهم تجسيدا لهذه القيمة الاجتماعية التي يتميز بها المجتمع المسلم.

والله عز وجل قد أتم على عباده ببعث محمد صلى الله عليه وسلم حيث كانت بعثته رحمه للعالمين قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [15] فمظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ليس لها حصر لأن رحمته عالمية كما أخبر الله سبحانه وتعالى وما من أحدٍ إلا وقد نال من رحمته.

مشكلة البحث:

يعيش العالم اليوم أزمة تفلت كثير من القيم والتي من بينها احترام الصغير للكبير، حتى تسربت هذه الأزمة إلى الأسر فترتب عليها عقوق الوالدين الذي تنوعت أشكاله وألوانه.

تبدأ معاناة المسن عند فقده الإحساس بالقيمة والتقدير بين أفراد أسرته وفي مجتمعه الذي يعيش فيه.

أهمية البحث:

العناية والاهتمام بالمسنين حيث اعتنت الشريعة الإسلامية بالمسنين وتوقيرهم، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك في أحاديث كثيرة نذكر منها: (**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**(سنن أبى داوود حديث **4843**

---

[10] سورة الإسراء أية23

[11] البخاري في الأدب المفرد باب لا يشبع دون جاره (52/1)

[12] الطبراني المعجم الكبير (95/22)

[13] البخاري الأدب المفرد باب إجلال الكبير (130/1)

[14] صحيح البخاري باب صلة المرأة أمها (4/8)

[15] سوره الأنبياء أية 107

فلا بد أن يعرف الصغير حق الكبير فيجله ويقدره، ونبه المصطفى صلى الله عليه وسلم لخطورة هذا الأمر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ) صحيح مسلم حديث 2551

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: (أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ) صحيح البخاري حديث 3004

أسئلة البحث:

1. ما أبعاد الرعاية للمسنين من وجهة النظر الشرعية ؟
2. وما البعد الاجتماعي لرعاية المسنين ؟

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي مع الاستفادة من المنهج الوصفي التحليلي.

تقديم المسنين في السلام

لقد راعت السنة النبوية تسليم الصغار على الكبار، وفيه حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير" وترجم له البخاري في كتاب الاستئذان في صحيحه (باب يسلم الصغير على الكبير) فهو خبر بمعنى الأمر([16])،أي ليبدأه بالسلام، والحكمة من ذلك هي مراعاة حق الكبير لأنه أمر بتوقيره والتواضع له.

تقديم المسنين في الكلام

أي تقديم المسنين على الصغار في الكلام، وهو من مظاهر توقير المسنين في الإسلام وترجم له البخاري في صحيحه(باب إكرام الكبير ويبدأ الكبير بالكلام والسؤال) وذكر فيه حديث رافع بن خديج وسهل بي أبي حثمة " أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود أتيا خيبر فتفرقا في النخل فقتل عبد الله بن سهل فجاء عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة ابن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فتكلموا في أمر صاحبهم وبدأ عبد الرحمن وكان أصغر القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" كبر الكبر" قال يحيى: يعني ليلي الكلام الأكبر([17]) وفي رواية " الكبر الكبر"([18]) بضم الكاف وسكون الباء، أي: ليلي الكلام الأكبر سناً؛ لأنه من آداب الإسلام ومحاسن الأخلاق ولكن ليس هذا على العموم لأنه إنما يبدأ الأكبر به فيما إذا استوى فيه علم الصغير والكبير، وإذا علم الصغير ما يجهل الكبير، فالصغير يقدم حينئذ ولا يكون هذا سوء أدب ولا نقصاً في حق الكبير. وشهد لهذا المعنى توقير عبد الله بن عمر لمن هم أكبر منه سناً خاصة الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما تقديراً لهم في الكلام، وعبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ولا تحت ورقها؟ فوقع في نفسي أنها النخلة فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" هي النخلة" فلما خرجت مع أبي قلت: يا أبتاه وقع في نفسي أنها النخلة، قال: ما منعك أن تقولها؟ لو

---

[16] الأدب المفرد باب يسلم الصغير على الكبير (558/1)
[17] البخاري باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام(34/8)
[18] البخاري باب القتل بالقسامة (9/9)

كنت قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا، قال: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت([19]).

واستنبط منه النووي (توقير الكبار كما فعل ابن عمر، لكن إذا لم يعرف الكبار المسألة فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها)([20]).

وفيه توقير الكبير وتقديم الصغير أباه في القول وأنه لا يبادره بما فهمه وإن ظن أنه الصواب وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه لأن العلم مواهب والله يؤتي فضله من يشاء([21]).

ويشهد لهذا المعنى أيضاً أي توقير الكبار وتقديمهم في الكلام قول سمرة بن جندب(لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً وكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن مني([22]).

تقديم المسنين في الشراب

راعت السنة النبوية تقديم كبار السن على الصغار وبوب له البخاري في صحيحه(باب هل يستأذن الرجل من على يمينه في الشرب ليعطي الأكبر؟) وذكر فيه حديث سهل بن سعد رضي الله عنه(أن رسول الله أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً، قال: فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده([23]).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه قال:(دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء فيه لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على يمينه وخالد على شماله فقال لي: الشربة لك فإن شئت آثرت بها خالداً فقلت: ما كنت أوثر على سؤرك أحداً)([24]).

وعند أبي يعلى من حديث ابن عباس(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سقى قال: إبدؤوا بالكبير أو قال ابدؤوا بالأكابر([25]).

تقديم المسنين بالإمامة في الصلاة

راعت السنة النبوية المطهرة في التقديم للإمامة شروطاً معينة هي على الترتيب:القراءة ثم العلم بالسنة ثم قدم الهجرة ثم السن كما دل على ذلك حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال:(قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءة، فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة، فإن كانوا بالهجرة سواء فليؤمهم أكبره سناً" وفي رواية عنه" يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا بالسنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً" وفي رواية " فأقدمهم سناً"([26]) يدل الحديث هنا على اعتبار السن في التقديم للإمامة، وقوله أقدمهم سلماً معناه يقدم في الإمامة من كبر سنه في الإسلام لأن ذلك فضيلة يرجح بها([27])؛ لأن الأسن أحق بالتوقير والتقديم.

---

19 البخاري. باب إكرام الكبير ويبدأ الكبير بالكلام (34/8)

20 شرح مسلم (145/17)

21 فتح الباري شرح صحيح البخاري قوله باب طرح الإمام المسألة (147/1)

22 مسلم. كتاب الجنائز. باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه (664/2)

23 صحيح البخاري باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب (111/7)

24 سنن الترمذي. كتاب الدعوات. باب ما يقول إذا أكل طعاماً. قال الترمذي حديث حسن. وصحح الألباني في صحيح الترمذي. (506/5)

25 مسند أبي يعلى (2425) صحيح ابن حبان (154/12)

26 مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب من أحق بالإمامة (465/1)

27 نيل الأوطار (192/3)

ذكر البخاري حديث مالك بن الحويرث قال: قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة، فلبثنا عنده نحواً من عشرين ليلة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم رحيماً فقال: لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم، مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم([28]) وفي رواية عند البخاري "ليؤمكما أكبركما "([29])
عند الطبراني" يؤم القوم أكبرهم سناً"([30]).
وصرحت روايات أخرى بأنهم كانوا متساويين في القراءة وفي مسلم (وكانا متقاربين في القراءة)([31])، وعند ابن خزيمة (فقلت لأبي قلابة: فأين القراءة؟ قال: كانا متقاربين)([32])
فلما استووا في القراءة عدل عنه إلى اعتبار السن، وذكر العيني(أن هؤلاء كانوا مستويين في باقي الخصال لأنهم هاجروا جميعاً وأسلموا جميعاً وصحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازموه عشرين ليلة فاستووا في الأخذ عنه فلم يبق ما يقدم به إلا السن)([33])

حق المسنين في تصدر المجالس

من مظاهر حضارة الإسلام البارزة توقير الشيوخ الكبار وتعظيمهم في ديننا الحنيف

1. تقديم الكبار على الصغار في تصدر المجالس وتناول الكلام ومن ذلك ما رواه رافع بن خديج وسهل بن أبي حثمة(أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود أتيا خيبر وتفرقا في النخل فقتل عبد الله ابن سهل وجاء عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة ابن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتكلموا في أمر صاحبهم فبدأ عبد الرحمن وكان أصغر القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:" كبر الكبر" قال يحيى: يعني ليلي الكلام الأكبر([34])، وقول النبي صلى الله عليه وسلم كبر الكبر أي عظم من هو أكبر منك وقدمه في التكلم يريد السن وفي هذا إرشاد إلى الأدب أي أنه ينبغي أن يتكلم الأكبر سناً أولاً هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن فيه حثاً على تقديم الكبار لما خصوا به من سبق الوجود وتجربة الأمور وسالف عبادة المعبود.
2. يشهد لهذا توقير ابن عمر رضي الله عنهما وترزينه لمن هم أكبر منه سناً خاصة الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وذلك في الحديث الذي يرويه ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها لوم تحت ورقها كل حين فوقع في نفسي أنها النخلة فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر فلما لم يتكلما قال النبي صلى الله عليه وسلم: هي النخلة. فلما خرجت مع أبي قلت: يا أبتاه وقع في نفسي أنها النخلة قال: ما منعك أن تقولها لو كنت قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا قال: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهته([35]) فهذا الحديث فيه توقير الكبار كما فعل ابن عمر رضي الله عنه، لكن إذا لم يعرف الكبار المسألة فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها لأن فيه توقير الكبير وتقديم الصغير أباه في القول وأنه لا يغادره بما فهمه وإن ظن أنه الصواب.

---

[28] خرجه البخاري في كتاب الأدب. باب اذا استووا في القراءة (138/1)
[29] البخاري كتاب الأذان. باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة (128/1)
[30] المعجم الكبير (288/19) من حديث مالك بن الحويرث وإسناده صحيح رجاله ثقات
[31] صحيح مسلم باب من أحق بالإمامة (466/1)
[32] صحيح ابن خزيمة (5/3)
[33] عمدة القاري شرح صحيح البخاري (182/8)
[34] صحيح البخاري. باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال (34/8)ح(6142)
وصحيح مسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات.باب القسامة (1292/3)ح(1669)
[35] صحيح البخاري باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال (2275/5)ح(5792) ومسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب مثل المؤمن مثل النخلة (2164/4)ح(2811)

3. لقد قدم النبي صلى الله عليه وسلم درساً قيماً في القيم الإنسانية والحضارية في التعامل مع المسنين فحين جاءه أبو بكر رضي الله عنه يوم فتح مكة بأبيه أبي قحافة قال صلى الله عليه وسلم:" لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه"([36]).

حث المجتمع على توقير واحترام المسنين

إذا كان الإسلام يحرص على صون كرامة الإنسان بكل مراحل عمره فقد عني عناية خاصة بتوقير الكبار واحترامهم وقد ورد الأمر بتوقير الكبار واحترامهم في السنة النبوية الشريفة وسنعرض بعضاً من الأحاديث النبوية التالية:

1. من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: جار شيخ يريد النبي صلى الله عليه وسلم فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا"([37]). حرف الواو في الحديث بمعنى أو وهنا التحذير من كل منهما وحده فينبغي أن يعامل كل منهما بما يليق به بأن يعطى الصغير حقه من الرفق به والرحمة والشفقة عليه ويعطى الكبير كذلك حقه في الشرف والتوقير ومعنى الحديث أنه ليس مثلنا ولا على طريقتنا ولا على سنتنا ولي من أهل الكمال من لم يرحم صغيرنا لعجزه وبراءته عن ارتكاب قبائح الأعمال وقد يكون صغيراً في المعنى مع تقدم سنه لجهله وغباوته وخرقه وغفلته فيرحم هذا بالتعليم والإرشاد والشفقة ويوقر كبيرنا لما يستحقه من التعظيم والتبجيل ولما خص به كبير السن من سبق الوجود وتجربة الأمور وسالف عبادة المعبود([38]).
2. وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط"([39]). فجعل إكرام المسنين من إجلال الله تعالى وربط بين توقير الخالق وتوقير المخلوق وإجلال القوي سبحانه وتعالى وإجلال المسن الضعيف، وبين علامة يكرم بها صاحبها هي الشيب، لذا فحق لكل ذي شيبة على كل من رأى هذه العلامة أن يكرمه ويجله ومن خلال الحديث نرى أنه صلى الله عليه سلم جمع بين المسن وحامل القرآن والسلطان وقدم المسن كأنه يقول لنا وقر المسن كما توقر السلطان والرئيس والحاكم وعظم المسن كما تعظم حامل القرآن الحذق وتحت لفظ إكرام ذي الشيبة المسلم تأتي كل صور الرعاية والإكرام للمسنين كالرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية ومحو الأمية والتعليم والتثقيف وغير هذه الصور من صور العناية التي نادى بها الإسلام.
3. من خلال السنة النبوية يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضرب لنا اروع الأمثلة والنماذج في التواضع والاحسان والتكريم للشيخ الكبير حين طلب صلى الله عليه وسلم من أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يبقي والده الشيخ الكبير في بيته ويأتيه عليه أفضل الصلاة واتم السلام فعن أنس رضي الله عنه قال:".. جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر:" لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه.."([40]).

---

[36] أخرجه أحمد في المسند (82/20)ح(12635) والحاكم في المستدرك (272/3)ح(5064) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[37] أخرجه الترمذي كتاب الأدب. باب ما جاء في رحمة الصبيان (321/4)ح(1919)
والبخاري في الأدب المفرد باب إجلال الكبير ح(358)

[38] فيض القدير (320/3)،(389/5) بتصرف

[39] أخرجه أبو داود في سننه باب في تنزيل الناس منازلهم (261/4) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (438/1) ح (2199).

[40] أخرجه أحمد في المسند (82/20)ح(12635) والحاكم في المستدرك (272/3)ح(5064) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

رعاية الوالدين من مظاهر رعاية المسنين

1. أوصى الله سبحانه وتعالى بالوالدين وأمر ببرهما وجعل الاحسان اليهما قرين عبادته قال تعالى:(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)([41]) كما جعل شكره قرينا لشكر الوالدين قال تعالى:(وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ)([42])، وفي جعل الشكر لهما مقترنا بالشكر لله دلالة واضحة على أن حقهما من أعظم الحقوق على الولد وأكبرها وأشدها ولقد نهى الله عز وجل عن نهرهما بأدنى الكلمات وهي "أفّ".
2. لقد أتى بر الوالدين في المرتبة الثانية بعد الصلاة في محبة الله وهذا واضح فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: أي العمل احب الى الله؟ قال: الصلاة على وقتها قال ثم أي؟ قال بر الوالدين قال ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني([43]) فبر الوالدين يعني الاعتناء بأمرهما والقيام على مصالحهما من قضاء دين وخدمة ونفقة وغير ذلك فيما يتعلق بأمور الدين والدنيا
3. الوالدان هما مفتاح الجنة للابن فببرهما يدخل الجنة وخاصة من أدرك أبويه عند الكبر لما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة([44]) هذا الحديث فيه حث على بر الوالدين وعلى عظم ثوابه فيه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة سبب لدخول الجنة ومن قصر في خدمتهم فاته دخول الجنة.
4. وبر الوالدين وإرضاؤهما يفرج الكرب ويدفع المصائب لحديث بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها. فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه ناء بي الشجر، فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء. ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء. وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله، ولا تفتح الخاتم، فقمت عنها، اللهم فإن كنت تعلم أني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها. ففرج لهم فرجة. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا وراعيها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي، فقلت: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها، فقال: اتق الله ولا تهزأ بي، فقلت: إني لا أهزأ بك، فخذ ذلك البقر وراعيها، فأخذه فانطلق بها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فأفرج ما بقي ففرج الله عنهم) ([45])

---

[41] سورة الإسراء أية23

[42] سورة لقمان أية14

[43] أخرجه البخاري **باب قول الله تعالى: {ووصينا الإنسان بوالديه حسنا}** (2/8)ح(5970)

[44] أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب رغم انف من ادرك ابويه او احدهما عند الكبر (1978/4)ح(2551)

[45] أخرجه البخاري كتاب الأدب , باب اجابة دعاء من بر والديه (3/8)ح (5974).

يتضح لنا من خلال الأحاديث النبوية أمراً جلياً وهو أن الرعاية التي تقدم للوالدين تعد مظهراً من مظاهر حضارة رعاية المسنين في المجتمع المسلم والى جانب البر الذي أمر الله تعالى به للوالدين نجد رعاية للمسنين في المجتمع لوجوده في غالب أسره فرعاية الوالدين بالطاعة والشفقة والإحسان لهما تعتبر درساً في القيم الحضارية تقدمها السنة النبوية علاجاً لمشكلات المسنين.

ومن الناس من يحسون بثقل هذه الفئة ويريدون التخلص منها وبدلا من التفكير في التخلص منهم بعض قضاء اعمارهم في العطاء والاخلاص لأبنائهم ومجتمعاتهم ينبغي علينا تكريمهم وتوقيرهم تقديرا لهم على عطائهم وهذا من القيم الاخلاقية والحضارية التي دعت اليها السنة النبوية فهي تحمي حقوق المسنين وتحفظ كرامتهم وترفع من معنوياتهم في ظل أسره ومجتمع ايماني يعرف الصغير فيهما قدر الكبير وتوقيره وتكريمه.

حث المجتمع على التكافل والتراحم والمحافظة على المسنين

ان نصوص الدالة على ذلك كثيره جدا منها قوله صلى الله عليه وسلم (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضوا تداعى له سائر الجسد والحمى)([46])

قوله صلى الله عليه وسلم (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)([47])

وقوله صلى الله عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء)([48])

وقوله صلى الله عليه وسلم (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء اذا فعلموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)([49])

من خلال هذه الأحاديث النبوية والتوجيهات الأخلاقية ينبغي على المسلم أن يعرف مكانة المسنين ويحفظهم.

المحافظة على المسنين في الحرب

حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرحمة والمحافظة على المسنين في حال السلم ورعاهم أيضا حال الحرب فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر الصحابة الكرام رضي الله عنهم اذا خرجوا للجهاد قائلا (انطلقوا بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ([50])

وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية يقول(لا تقتلوا شيخا كبيرا)([51])

ولقد سار على هدية صاحبة وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد أوصى الصديق يزيد بن أبي سفيان احد أمراءه على الشام (إني موصيك بعشر لا تقتلنّ امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطعنّ شجرا مثمرا ولا تخربنّ عامرا ولا تعقرنّ شاة ولا بعيرا إلّا لمأكله ولا تحرقنّ نخلا ولا تفرّقنّه ولا تغلل ولا تجبن. وإنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له)([52])

وفي هذا ان لم يكونوا محاربين أما إذا كانوا محاربين, أو أعانوا على حرب المسلمين فيقتلون.

---

46 البخاري باب رحمة الناس والبهائم (10/8) ح(6011)

47 البخاري باب قول الله تعالى (قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن) (115/9)ح(7376)

48 الترمذي باب ما جاء في رحمة المسلمين (323/4)ح(1924) ,وقال حديث حسن صحيح

49 مسلم باب بيان أنه لا يدخل الجنة الا المؤمنون (74/1)

50 التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (233/24)

51 شرح صحيح البخاري لابن بطال (171/5)

52 التفسير الحديث ,عن يحيى بن سعيد **احتوى وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان حين بعثه على رأس جيش إلى الشام** (2/ 38).

التوصيات والمقترحات

1. الاهتمام بالمسنين خاصة في الحالات الصعبة للمسن مثل المرض وتقديم الخدمات الصحية له بإنشاء وحدة صحية خاصة للمسنين في كل مدينة وقرية , والقيام بكشف طبي دوري لاكتشاف الأمراض مبكرة والعمل على علاجها.
2. تأمين حياة كريمة للمسن من جميع النواحي الحياتية.
3. تشجيع الجمعيات والمؤسسات الأهلية التي ترعى المسنين لتزيد من فعاليتها ونشاطها في هذا المجال.
4. عقد مؤتمرات وندوات بهدف التعرف على ما هو جديد من بحوث عن المسنين وتبادل الخبرات والمعلومات والإنجازات بين جميع العاملين والمهتمين برعاية المسنين.
5. تنظيم الرحلات والمقابلات الخاصة بالمسنين وذلك لرفع الروح المعنوية للمسنين.
6. تقديم النشرات والمعلومات اللازمة للأبناء والأشخاص الذين يقومون برعاية المسنين عن كيفية التعامل معهم والطرق السليمة لرعايتهم وكيفية الاهتمام بالحالة العامة للمسن كالنفسية والغذائية والصحية لهم.

النتائج والاستنتاجات

هذه لمحات من معالم الرحمة في السنة النبوية بالمسنين وقد تجلت في مظاهر حضارية عديدة ومن أعظم رعاية المسنين بر الوالدين وفي جانب الرعاية الأخلاقية التي تحث على إكرام واحترام المسن وذلك من كمال تعظيم الله سبحانه وتعالى ومن مظاهر الرعاية الاجتماعية تقديم المسن في السلام والكلام والشرب والإمامة في الصلاة وخدمة الصغار للكبار وهذا هو نهج النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام واهتم النبي صلى الله عليه وسلم برعاية المسنين حال السلم ورعاهم واهتم بهم كذلك حال الحرب بل تعدت لكل مسن يعيش في ظل المجتمع المسلم فورد النهي عن قتل الشيخ الكبير ما لم يكن محارباً وعلى هذا مضت وصية النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

وأخيراً فإنني أتمنى لهذا البحث أن يحقق نتائج طيبة تخدم الأمة وتعمل على إظهار الصورة الحسنة المشرقة المضيئة لسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم العطرة وتظهر مدى رحمة الاسلام بكل فئات المجتمع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين